علاقة الثورة الإسلامية الإيرانية بالصحوة الإسلامية



إن منطق تحليل الأوضاع بعد انتصار الثورة الإسلامية يختلف عن أوضاع المنطقة قبل انتصار الثورة الإسلامية وهكذا الأمر بالنسبة إلى أوضاع العالم. إن الذين تابعوا تطور الأحداث قبل و بعد انتصار الثورة الإسلامية . وأرادوا تقييم أوضاع العالم قبل وبعد انتصار الثورة الإسلامية، سيدركون التفاوت بين هاتين المرحلتين بشكل جيد لقد كان انتصار الثورة الإسلامية العديد من الإرهاصات والأحداث فى العالم ويمكن بيانها على النحو الآتى:

انبثاق الصحوة الإسلامية وتيار العودة إلى الإسلام

وهذا الشعور وهذه الصحوة لم تكن موجودة قبل انتصار الثورة الإسلامية، إذ كانت المجتمعات الإسلامية لا تعير أى اهتمام لإسلامها، وكانت التيارات غير الإسلامية هى السائدة في هذه المجتمعات، فلم تكن المؤسسات الثقافية والسياسية تتحدّث عن الإسلام، ولم يكن الإسلام بوصفه ديناً ديناميكياً ومحركا

للثورات، منشأ لتحرّك وصحوة الشعوب أبدا. وحتى في بلدان الشرق الأوسط، وخاصة الأقطار الواقعة في الجنوب من الخليج الفارسي لم يكن هناك اسم للإسلام لا على مستوى الدول فحسب، بل حتى على مستوى الشعوب، وإذا كان هناك للإسلام من اسم فهو محصور فى زوايا البيوت والمساجد وبشكل نادر جدا. وهي بالإضافة إلى ذلك مساجد قليلة جدا. وعندما انتصرت الثورة الإسلامية والقنبلة التى فجر ها الإمام الخميني (رضوان ا تعالى عليه) فى العالم – قنبلة الانتماء إلى الدين والعودة إلى المعنويات- كان من إرهاصات ونتائج ذلك ظهور تيار العودة إلى الإسلام . يجب القول بأن هذا الحدث العظيم كان أكثر من مجرد تيار، وإنما هو جريان هدر ومستمر وشامل فى المطالبة بالعودة إلى الإسلام، بحيث إن حكام الأقطار الإسلامية وخاصة حكام الدول الواقعة فى جنوب الخليج الفارسي – الذين ليم يكونوا لتفوهوا بالإسلام من قريب ولا بعيد- اخذوا يجاهرون في ادعائهم تمثيل الإسلام. ابتداء من حكام العربى السعودية إلى حكام الإمارات وقطر ومصر وصولا إلى صدام الذى لم يكن يطيق الحديث عن الإسلام أبدا، بل كان يحارب الإسلام حتى فى أطروحته المذهبية، بل إن أسس حزب البعث تقوم على اجتثاث الإسلام واستئصاله من المجتمع ، ومع ذلك أخذ يبالغ في ادعائه قيادة العالم الإسلامي، وبلغ به الأمر إلى رفع كلمة (ا اكبر) على علم الجمهورية العراقية. وعلى الرغم من أنّ هذه الأمور تنبثق من سياسة مراوغة ومنافقة ، ولكنها تثبت أنّ هذه الصحوة الجارفة أجبرت حتى شخصاً مثل صدام – الذي لا يعرف الأبجدية الإسلامية – على ركوب الموجة الإسلامية، واصطباغ بلونها. وفي تركيا انتعشت الأحزاب الإسلامية وبدأت تمارس نشاطها ، في حين لم يكن في تركيا من يجرؤ على ذكر اسم الإسلام على المستوى الفردي فضلا عن ممارسة النشاط السياسي، وانتشرت رقعة هذه النشاطات ، حتى فازت في الانتخابات واستلمت مقاليد السلطة، وهذا شيء لم يكن هناك من يحلم به قبل ثلاثة عقود، وإذا تحدث به شخص لكان قد عرّض نفسه للسخرية والاستهزاء. لذلك فأنّ إرهاصات هذا التيار الإسلامي العظيم قد اخترقت حدود الدول الإسلامية، وانتقلت حتى ألى أوربا وأمريكيا، وبدأ المسلمون في الأقطار الأوربية والأمريكية يشعرون بهويتهم وكينونتهم وكرامتهم للمرة الأولى في تاريخهم، وأما قبل انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية فلم يكن هناك شيء من هذا القبيل، بل كان المسلمون في أوربا وأمريكا يسيرون في الشوارع مطأطئي الرؤوس ويشعرون بالخجل عند الكشف عن هويتهم الإسلامية، وكان الإسلام لا يظهر إلا على جماعة من كبار السن والأجيال القديمة. أما الجيل الجديد في أوربا وأمريكا فلم يكن ليبدي أي ميل تجاه الإسلام . وإنّ غالبية هذا الجيل الجديد بدأت بالذوبان في المجتمعات الغربية، وأصبح جزءاً لا يتجزأ من هذه المجتمعات. في حين ظهر بعد انتصار الثورة الإسلامية تيار مهيب يدعو للعودة إلى الإسلام في الغرب، واتسع الإقبال على بناء المساجد والمراكز الإسلامية بشكل ملفت للغاية.

وهذه الظاهرة تشكل الوجه الآخر للظاهرة الأولى، فكل وحدة من هاتين الظاهرتين هما وجهان لعملة واحدة ، فإذا كان التيار المنادي بالعودة إلى الإسلام هو الجانب الايجابي من الحدث، فإنّ الدعوة إلى مقاطعة الثقافة الأجنبية وخاصة الغربية تمثل الجانب السلبي منها. لقد كانت الثقافة الغربية هي الثقافة المسيطرة على العالم، وكانت هي الثقافة الغالبة ، وكانت هذه الثقافة تدعي تمثيلها لجميع القيم الإنسانية والبشرية، معتبرة نفسها الحاكم المطلق للعالم، بل كان الغرب من خلال ثقافته يرى نفسه ملاكاً لإنقاذ الناس في كافة أرجاء المعمورة، وحيثما تعرض بلد ألى أزمة، تم تبريرها بأنّ الشعب في ذلك البلد أخفق في تطبيق القيم الغربية بشكل جيّد. وكانوا ينصحون الدول والشعوب ويقولون: إذا أردتم تحقيق التقدم والنجاح والتخلص من المشاكل والأزمات، فما عليكم إلا الاغتراب من النموذج الغربي. حتى بدأت جميع شعوب العالم ترى في القيم الغربية طوق نجاة، حتى انتصرت الثورة الإسلامية، فظهرت الكثير من علامات الاستفهام أمام مصداقية القيّم الغربية. حتى تحولت هذه القيم في أنظار الشعوب بالتدريج ألى مفاهيم تقف على الطرف النقيض من القيم الإنسانية. أي أنّ شعوب العالم أخذت بالتدريج تدرك أنّ الغرب لا يمثل ملاكاً منقذاً ، بل أنّ جلّ المشاكل والأزمات التي تعاني منها الشعوب أنما هي أزمات مفتعلة من قبل الدوائر المنتسبة ألى هذا العالم الغربي، وتأتي كنتيجة لهيمنة القيم الغربية على العالم. فإذا كان هناك حاكم مستبد في بلد ما، فإنما هو صنيعة للدول الغربية، وإذا كان هناك فقر في بلد ما ، فهو فقر مفروض عليه من قبل الغرب، لأنه يأتي كنتيجة لنهب خيراته من قبل الدول الغربية. إذا كان هناك من تخلف أو ضعف على المستوى العلمي والثقافي ، فإنما هو نتيجة للأنانية الغربية واحتكارها للتقنيات العلمية، وعدم سماحها لبقية شعوب العالم الثالث والبلدان الإسلامية ببلوغ ما بلغته حتى بقدرتها الذاتية. من هنا أخذ يظهر في هذه الدول شعور بالكراهية للغرب تدريجياً، حتى تحوّلت هذه الكراهية ألي ثقافة عامة، وكانت هذه الظاهرة المباركة قد ظهرت على مدى ثلاثة عقود من انتصار الثورة الإسلامية.

الغرب في مواجهة

إن هاتين الظاهرتين بدلاً من اتخاذ موقف متزن وحكيم، اختار سلوك طريق الانفعال والتخبّط، حيث بدأ يواجه هذين التيارين بعدوانية قد برزت هذه المواقف العدوانية على ثلاثة أشكال: الشكل الأول: العدوان على خصوص الثورة الإسلامية من خلال إثارة الداخل وتسليح العصابات المناوئة للثورة الإسلامية،

والى جانب ذلك إثارة أخرى موازية قادها صدام بإيعاز من الاستكبار الغربي وشاركه فيها حكام المنطقة ، فخاضت الجمهورية الإسلامية حربين متزامنتين داخلية وخارجية. والشكل الثاني، الذي ظهر منذ بداية الثورة من خلال إثارة الحرب الناعمة، وهي حرب شاملة وواسعة تتألف من العديد من العناصر، وكانت الوهابية واحدة منها بل على رأسها، وقد مثلت حرباً باسم الإسلام ضد الثورة والتشيع. حيث اعتقد الغربيون أنّ التشيع هو الأيديولوجية المحركة لهذه الثورات، ولذلك من ناحية، كما أثاروا بعض التيارات التنويرية من الداخل من ناحية أخرى. وبذلك قاد الاستكبار ضدّ الثورة حرباً ثقافية وحرباً ناعمة من الداخل والخارج أيضاً.

والشكل الثالث، هو مواجهة النظام بثورات تصلح لكي تكون بديلة عن الثورة الإسلامية لكي تتأسى الشعوب والبلدان الأخرى بها بدلاً من التأسي بنموذج الثورة الإسلامية في إيران. فبعد أن شاهد الغرب أنّ هذه الثورة التى حدثت في العالم أدت ألى ظهور موجة عارمة من العودة إلى الإسلام، وبموازاة ذلك أدت إلى ظاهرة الكراهية للغرب وكل ما يمت إليه بصلة، سعوا إلى العمل على احتواء هذه الموجة والسيطرة عليها بشكل من الأشكال، فوجدوا أن أفضل طريق إلى ذلك يتمثل في إيجاد بدائل منافسة لهذه الثورة، حيث بدأت هذه الثورات والحركات البدلية ترفع بحسب الظاهر نفس الشعارات التى رفعها الإمام الخميني رحمه ا والثورة الإسلامية الإيرانية ضد الولايات المتحدة الأمريكية والمطالبة بحرية الشعوب، ولكنها في الحقيقة والواقع تعمل في الخفاء لصالح المشاريع الأمريكية في المنطقة، وعلى رأسها القضاء على الثورة الإسلامية، واستقطاب البلدان الإسلامية والشباب المتحمس والثوري واحتوائه داخل هذه التيارات المنحرفة فكان تنظيم القاعدة، وحركة طالبان، والتيارات المشابهة لهما، بل وحتى حزب العدالة والتنمية التركي، حركات بديلة تأسست في هذا السياق للسيطرة على تيار الثورة الإسلامية، فظهرت في الشرق الإسلامي وجوه مثل الملاعمر وأسامة بن لادن ، وتمّ الترويج لهما من قبل الإعلام الغربي وبوصفهما خصوم الداء للحضارة الغربية، ليخطفوا الأضواء من الثورة الإسلامية، ويعملوا على توجيه أنظار الشعوب الإسلامية ناحية هذه الوجوه التي هي مجرد صنائع لها. إذن كان للعدوان الغربي على الثورة الإسلامية ثلاثة أشكال، الشكل الأول: العدوان العسكري المسلح من الداخل والخارج. والشكل الثاني: الحرب الثقافية الناعمة من خلال الترويج للانحراف الفكري الذي يهاجم قيم الثورة، والشكل الثالث: إيجاد التيارات الثورية البديلة . وقد تمكن تنظيم القاعدة من استقطاب بعض التيارات في العالم العربي. كما تمكنت حركة طالبان من الحصول على موطئ قدم لها في باكستان وشبه القارة الهندية. كما تمكن اردوغان من إيجاد قواعد لنفسه في تركيا وقلب العالم الإسلامي وحتى في بلدان شمال أفريقية أيضا. ولكن لم يتمكن أي من هذه التيارات المصطنعة من قبل الغرب من الحيلولة دون تقدم زحف تيار هذه الثورة العظيمة. فقد تم القضاء على صدام، وارتفع شأن التيار الفلسطيني بفعل دعم الثورة وبلغ حزب ا في جنوب لبنان ذروة اقتداره بالانتصار على العدو الصهيوني في أكثر من مواجهة ، وتمكن من دحر

الجيش الذي لا يقهر. وقد انتعشت المقاومة الإسلامية في العراق وسورية ولبنان وفلسطين في قبال التيار الذي أراد الغرب أن يجعل منه درعاً في مواجهة الثورة، وكان هذا الدرع يتمثل باتحاد الحكومات الموالية للغرب والولايات المتحدة الأمريكية وهو عبارة عن المملكة العربية السعودية والأردن ومصر وتونس والدول الواقعة في جنوب الخليج الفارسي، ولكن وبعد صمود الثورة الإسلامية، لم يتمكن هذا المحور من القيام بأي حماقة، وأثبت فشله حتى اكتسحه التيار المقاوم. فقد أطيح بالنظام التونسي والمصري وهو أخذ بالاتساع والقوة يوماً بعد يوم. لقد كان المخطط يقضي بمحاصرة الجمهورية الإسلامية في إيران من جميع الجهات. فطالبان والقاعدة في الشرق، وحزب العدالة والتنمية بقيادة اردوغان في الشمال الغربي، وصدام ومشيخات دول الخليج الفارسي في الغرب والجنوب، وتكاتف الجميع من أجل فرض الحصار العسكري والاقتصادي الثقافي والسياسي على إيران وثورتها، إلا أن الثورة لم تخضع لهذا الحصار، بل انفتحت حدود هذه البلدان باتجاه الثورة، وتحول العراق وسورية وخاصة لبنان وفلسطين إلى قواعد للثورة الإسلامية وعقيدة وثقافة المقاومة . حتى تحولت مصرفي الآونة الأخيرة وبعد بزوغ نجم الصحوة الإسلامية إلى قطب كبير للمطالبة بالإسلام، وامتد هذا التيار ليشمل شمال أفريقيا وليبيا وتونس واليمن،وكذلك دول جنوب الخليج الفارسي ومن بينها البحرين أيضاً.

المصدر: وكالة أنباء التقريب